

## الفصل الثالث

### تنظيرات سياسىة

- إدموند بيرك ( ١٧٢٩ - ١٧٩٧م )
- توماس بين ونظريته الإنسانىة (١٧٣٧ - ١٨٠٩م)
- النفعىة والنفعيون
- وليام جودوين (١٧٥٦ - ١٨٣٦ م)
- الرومانسىة
- النظرىة السياسىة الكاملة عند بوزانكت؟ ( ١٨٤٨ - ١٩٢٣ م )
- ▲ محصلة

إدموند بيرك (١٦٢٩ - ١٧٩٦م):

يمثل 'إدموند بيرك' Edmond Burk فى نظرنا العقلىة البرىطانىة التى تعرفنا وتعرف عليها.

ومن الوجهة النظرىة البحتة "فإن السياسات عند بيرك لا تتوافق مع العقل بتفكيره المجرىد وإنما تتوافق دائما مع الطبيعة البشرىة التى تستهدف دائما (فى رأيه) منفعتها ومصالحها وهى لا تهتم بالصواب والخطأ ولا بالحقىة أو الزيف وإنما تهتم بالخير والشر" باعتباره أن الخير هو المنفعة والشر هو نقيضها؛ وبهذا ورغم مذاقه الماكىافىلى الحوشى وبسبب تغير المناخ السياسى الأوروبى أرهص بيرك للمذهب النفعى لى 'بنتام' و 'مل' وغيرهما؛ رغم تقاطع المذهبىين مع حراك إنسانى ثورى عند بين إبان الثورتىن: الفرنسىة والأمريكىة.

لم يعتبر بيرك الحرىة حقا طبيعىا من حقوق الإنسان ورفض الحرىة الفردىة قائلا بأن الإنسان مهىأ للحرىة المدنىة Civil Liberty بواسطة ضبط النفس وحب العدل واتجاهه إلى الفهم ، ورأى أن المجتمع يجب أن يملك قوة مسيطرة علىا يرهبها الأفراد ويحترمونها<sup>١</sup> .

<sup>١</sup> على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى... ص ٢٣٢، ٢٣١

وقد خالف بيرك عالم الاجتماع 'جون لوك' فى قوله بتساوى الناس فى حق الملكية فقرر هو أنها تختلف طبقا للمكانة والمركز والمميزات المختلفة والدور الذى يلعبه فى المجتمع ؛ والنتيجة عنده أن عدم المساواة الاقتصادية تلك تبرر عدم المساواة السياسية أيضا.

وحقا كان بيرك ينظر فى الأمور بالمنظار الإنجليزى فى أفقه الاستعمارى فى وقته؛ ولكن حجة تبريرية أخرى وافته من الجوار البريطانى حيث هزت أعمال القتل والاستبداد التى صاحبت الثورة الفرنسية المجتمع الإنجليزى الذى بدا محافظا أو متريثا ما أغدقت عليه المستعمرات . وكان مجلس لورداته House of Lords يتكون من المتميزين أصلا وتملكا كما كان مجلس عمومه House of Commons يتكون من ملاك الأراضى الكبار.

وأما تمثيل الجماهير المعدمة عند بيرك فقد دخل نظريا فيما سماه "تمثيل الفضيلة" Virtual Representation ويقول بأنه قد يكون أعظم من النوعين الآخرين فى بعض الأحوال.

وفى رسالته "أفكار وتفصيلات عن المجتمع" Thoughts and Details on Society عد العمال مجرد سلعة فى عالم التجارة تخضع للعرض والطلب ورد فقر العمال إلى كثرة عددهم ؛ وأما طبقة الأغنياء فهى تزودهم بما يحتاجون إليه من خلال ما يقومون به من مشروعات وتجارة وبنوك توفر لهم فرص العمل فيها .

وعلى الرغم من أن بيرك هاجم الميتافيزيقا والأفكار المجردة ورأى أن السياسة لا ترتبط إلا بالظروف وبالتاريخ وبالخبرة وبالفتنة وبالتجريب شأنها شأن العلوم التجريبية جميعا؛ 'إلا أنه رأى "ضرورة المحافظة على الدين والتمسك به" ورأى بعض نقاده أنه "رائد من رواد الحركة الإنسانية المسيحية فى السياسات .. لأنه رأى العالم وطبيعة الإنسان من

خلال الكتاب المقدس وتبدييات المسيحية" <sup>١</sup>؛ وإن كان منحاه هذا فى تجديد الدين للسياسة قد ناقض كلا من منحى المصلحين الدينيين البروتستانت والعلمانيين القوميين جميعا؛ مما يؤكد أن بيرك قد كان يترجم عن الأوضاع السياسية والاقتصادية فى انجلترا وعن شعوره العدائى ضد الثورة الفرنسية.

وهو شعور غطى عنده على دوافع هذه الثورة وما سبقها بل أدى إليها من فساد وبطالة واستبداد وإسراف كما غطى عنده على ما تطورت إليه الثورة بعد الفورة الأولى من ثبات ونظام وما صدر عنها من فكر علمى وعملى فضلا عما نادى به من مبادئ العدالة والحرية والمساواة تلك التى تركت أثرها فى كل مكان؛ بل يرى بعض الباحثين أن بيرك تناسى ذلك عن عمد كما قلب القضية فعلى دعوته لتدخل انجلترا وغيرها للقضاء على الثورة الفرنسية بنزعات التطرف والعنف فيها بينما كانت دعاوى التدخل هذه هى نفسها من دواعى العنف والالتجاء إلى الاستبداد العسكرى الذى أدى إلى ظهور نابليون فى فرنسا <sup>٢</sup>.

وعلى الرغم من أن بيرك قد ولد من أب بروتستنتى وأم كاثولوكية <sup>٣</sup>؛ إلا أنه على ما يبدو قد اصطنع أسلوب التعصب للدين بوصفه المنتقد فى المجتمع الأوروبى ولم يسعه من أمر العقل الفرنسى ما وسع المصريين المتمسكين بدينهم المتقبلين للبيرالية كما سيلي.

فبالإضافة إلى ما ذكرنا وغيره مما هوّل به بيرك على الثورة الفرنسية "تطرف إلى حد دعوته انجلترا إلى الدخول فى حرب ضد الثورة الفرنسية لإنقاذ الشعب الفرنسى" فى زعمه. وإنما نقم على الثورة ما وصفه بـ "الديموقراطية اليعقوبية" Jacobin Democracy ورآها تمثل "طغيانا جماعيا" مستبدلا "بالطغيان الفردى".

<sup>١</sup> على عبد المعطى محمى/ الفكر السياسى الغربى.. ص ٣٣٤

<sup>٢</sup> على عبد المعطى محمى/ الفكر السياسى الغربى.. ص ٣٣٣

<sup>٣</sup> على عبد المعطى محمى/ الفكر السياسى الغربى.. ص ٣٢٦

ووصفه للديموقراطية الفرنسية بأنه يعقوبية مبعثه أن إيمان الثوار لم يكن "يقول بالتثليث" كما أن "اليهود لا تقول بالتثليث" فهم موافقون لليهود والمسلمين في التوحيد ولكن "يؤمنون بالكائن الأعظم إلها لا وصاية له على الناس ولا يثقلهم بوحى أو إلهام وإنما يكلهم إلى أنفسهم يصرفون سياستهم واقتصادهم وشئون اجتماعهم كما تقضى عقولهم به وترتضيه أفكارهم" <sup>١</sup> .

يقول الدكتور حلمى مرزوق: "وهذا هو الإيمان العقلى الذى ورثه نابليون عن فلاسفة القرن التاسع عشر.. (وقد) وجد "الجبرتى (قد) رد هذه الفلسفة جميعا إلى التحسين والتقييح العقليين.. فى تراث الإسلام وفلسفة المسلمين" <sup>٢</sup> . أى أن نابليون فى واقع الأمر ليس يعقوبيا خلافا لمقتضى اصطلاح بيرك كما أنه ليس مسيحيا ولا مسلما بالمعنى الخاص للإسلام ولكنه على أية حال ليس ملحدا كما لم يكن الثوار ملحدين بعكس تشنيع بيرك عليهم.

وقد كانت ألوهية الثوار الفرنسيين ألوهية القرن الثامن عشر أو عصر الاستنارة. ألوهية فلسفية أطلقوا عليها اسم "الدييزم" Diesm فى وصف مرزوق عن 'بول هازرد' لها <sup>٣</sup> . أو ألوهية تكاد تكون حنيفية لولا إنكار الوحي والإلهام فى "الدييزم" حقا كان الحنفاء مؤمنين أخلاقيين وصلوا إلى نقائهم هذا فى تجربة إبراهيم مثلا عن طريق التأمل فى ظهور الشمس والقمر وأقولهما <sup>٤</sup> ولكنهم كانوا أصحاب ألوهية ذات الوحي والإلهام: "ثييزم" Theism بتعبير الغربيين وهى التى قابل الثوار بينها وبين الـ "دييزم" .

والواقع أن بيرك والأسلوب المحافظ فى انجلترا بصفة عامة كان يمكن أن يعتبر الثورة الفرنسية تخص فرنسا ولكنه رآها تكاد تكون شرارة أخرى من الثورة الأمريكية ومن ثم عنت عنده بلا ريب تعارضا جديدا

<sup>١</sup> حلمى على مرزوق/ دراسات فى الأدب والنقد..ص ٧٨

<sup>٢</sup> حلمى على مرزوق/ دراسات فى الأدب والنقد..ص ٧٩

<sup>٣</sup> حلمى على مرزوق/ دراسات فى الأدب والنقد..ص ٧٧

<sup>٤</sup> سورة الأنعام، ي ٧٦-٧٨

مع مصالح إنجلترا في مستعمراتها ؛ ولذلك وقفت إنجلترا لفرنسا بالمرصاد في أوروبا وتتبع أسطولها الأسطول الفرنى فى البحر الأبيض وانتهد منه غرة فى أبى قير وأسهم فى دعم أحمد باشا الجزار لصد الغزو الفرنسى لعكا بشىء من سلب الحملة الفرنسية نفسها.<sup>1</sup>

وإلى الأسلوب السياسى البريطانى نعود فى الباب الثالث.

### توماس بين (١٧٣٧ - ١٨٠٩م) ونظريته الإنسانية:

لكنا وجدنا "توماس بين" 1737- 1809 Thomas Paine رغم انجليزيتته يشذ عن هذه الرجعية . ورغم نعت أسلوبه الحماسى بالغوغائية فإنه كان واضحا خلوا من الطبقيّة التى اتسم بها إدموند بيرك ، ومن التناقض والفوضوية الذين وسمت بهما نظرية جدوين السياسية ؛ فكان مثلا للذوقية الشعورية التى سبق إليها "كالفن" فى الإصلاح الدينى.

وكذلك مثل بين المرحلة الناضجة لفلسفات العقد الاجتماعى عند "لوك" (١٧٠٤م) ، و"منتسكيو" (١٧٥٥م) و "روسو" (١٧٧٨م) . وقد تضمن فكره ونضاله العملى السياسى والتقنى جميعه خير ما جاءت الرومنسية بعد تتطلع إليه ووجد فلسفته "لكاملة" -إن لم نقل (التامة) مسك ختام كما ذكرت- عند "بوزانكت" .

بصدقه وجده وحده على الإنسان جاء -وهو مصمم الكبارى المنقطع عن الدراسة الروتينية- مصلحا ثاقب النظر عمليا تنظيميا .

جاء مناقضا لفلاسفة القومية والطبقيّة جميعا . بسبب نزعه الإنسانية التحررية العامة ، وأرهص للنظرية السياسية التى توصف بأنها الكاملة عند "بوزانكت" التى خفنا عليها وحسب من إسناده رسالتها إلى الدولة القومية؛ رغم تطويره النظرى الجميل لمفهوم الدولة القومية كما سيلي.

<sup>1</sup> Literary History of England, ed. A.C.B., p. 1115  
- مجلة المصور/ عدد ٢٩٩٩، ٢/٤ / ١٩٨٢م، ص٥٨، بقلم أحمد أبو كف.

## لرحلة نضال "بين" بين القارتين والثورتين . في المنصب وفي المحاكمة والسجن ومقاربة الإعدام . بين العرفان وبين التنكر تفصيل ننزل به إلى الهامش للتركيز على نظريته الأجر بهذا المتن<sup>١</sup> .

١ - عمل "بين" بعد قطع دراسته في الثالثة عشرة صانعا وموظفا وجنديا وديبلوماسيا . وقد اخترع الجسور الحديدية واندفع بحماس إنساني هائل ليؤكد التأليف في السياسة كذوق عام common Sence وحقوق الإنسان writes of man وفي العصر كعصر يمتاز بالعقل ويستلزمه Age of Reason . وقد تصدى قلمه لداعية الملكية الرجعي "إدموند بيرك" . ورسالة بين في توزيع الأراضي بالمساواة Agrarian Justice وغيرها قد تضمنت مقولات سبقه إليها غيره ولكنها اشتهرت به وشاعت في العصر الحديث وتضمنت مبادئه الإصلاحية الكبرى .

- عمل بواسطة 'بنيامين فرنكلين' مدير تحرير لمجلة "فيلادلفيا" التي نشر فيها آراءه التحريرية بمجرد سفره إلى أمريكا سنة ١٧٧٤م وهي المجلة التي دعا فيها إلى استقلال المستعمرات الأمريكية عن بريطانيا وطنه الرسمي وذلك في رسالته النارية "الذوق العام".

- و"توماس بين" هو الذي صرح -وقد يكون ذلك لأول مرة في التاريخ- بأن الملكية تتعارض مع الديمقراطية. وبنوفاه التحرري الممتاز هذا طالب بأن يسود في إنجلترا حكم جمهوري ديموقراطي ثم كان لكتابات وأرائه أكبر الأثر في حدوث الثورة الأمريكية وقيام الحكم الجمهوري الديمقراطي فيها.

- سافر إلى فرنسا وساهم في الرد على الاتجاهات التي اتخذت من مظاهر العنف والدم في الثورة ضد الطبقة المتحكمة القديمة نزيعة لمعارضة الثورة في عمومها ولاسيما اتجاه "ادموند بيرك" الذي مثل الجمود والارتباك في البحث .

- وكما يقول الدكتور على عبد المعطى محمد "هو شخصية من أعجب الشخصيات السياسية التي شهرا التاريخ . لعب دورا بالغ الخطورة في مجتمعات ثلاثة : إنجلترا وفرنسا وأمريكا كما مارس فكرا خصبا في ثنايا الحوار العميق حول الحرية ؛ فقد " كان يؤكد في جميع أقواله وكتاباته وفي كل آن ومكان على الاتجاه الليبرالي وحقوق الإنسان في الحياة وفي الحرية" و "يهاجم الاتجاهات المحافظة والحكومات الموناركية والاتجاهات الاستبدادية فكان بذلك مفكر الحرية والأحرار في كل مكان (على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسي الغربي، ص ٣٣٧، ٢٣٨).

- "صاغ بين رسالته في الذوق العام سنة ١٧٧٦م بطريقة أدبية رائعة.. في عبارات قصيرة ساخرة يسهل على الناس ترديدتها في كل مكان ووضع في ثناياها فلسفته عن الحرية وضرورة الاستقلال والتحرر الوطني وما لبثت الرسالة إلا قليلا حتى نفذت طبعتها.. بل أعلن "واشنطن" .. قائد الثورة أن رسالة الذوق العام قد عدلت من آرائه وغيرت من مفاهيمه (وأمر) بأن يطلع عليها جميع أفراد قواته المسلحة.

- لقد ارتفع "بين" فوق وطنيته الإنجليزية الخاصة ؛ بل شارك في الحروب الأمريكية إلى جوار "واشنطن" .. (و) عينته الحكومة الأمريكية كسكرتير للجنة التفاوض مع هنود بنسلفانيا في يناير ١٧٧٧م وفي .. إبريل.. عين سكرتيرا لمجلس الشؤون الخارجية في الكونجرس حتى يناير ١٧٧٩م حيث اختلف مع المجلس والكونجرس و (لكنه) سرعان ما عين في مجلس بنسلفانيا.. حتى عام ١٧٨١م ، "عام سفره إلى فرنسا للتفاوض في الحصول على أسلحة ومساعدات لأمريكا" (على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسي الغربي، ص ٣٣٩ .

- ويبدو أن جسره الحديدى المنشأ لأول مرة في إنجلترا سنة ١٧٩٠ ليس الجسر الوحيد الذى اخترعه بين ؛ فالواقع أنه هو نفسه قد وصل بين أوروبا وأمريكا كما عبرت أفكاره شتى أصقاع المعمورة .

- يعد "ين" ( ١٧٣٧ - ١٨٠٩ ) رائداً في نضاله السياسي أو فدوة كارزمية لعديدين في الغرب والشرق : قادة التحرير في الولايات المتحدة ومنهم "جورج واشنطن" ، وهو ثابت بالمتن .

جماعات مطالبية بالإصلاح والغاء السخرة وما إلى ذلك في الشرق القيصري ومنهم عنتره أكرانيا الشاعر الفارس الرسام القين" ترس شفنتكو" (١٨١٤ - ١٨٦١)

- السيد جمال الدين الأفغانى في شرقنا الإسلامى العريض . وقد لحق به إلى الخلود بعد ثمان وثمانين سنة - وإلا السيد "بلنت" "مستر بلنت" الصديق الأيرلندى للعراقيين وشاعرهم في اللسان الإنجليزي في ثمانينيات القرن التاسع عشر .

## نظرية "بين" في درس على عبد المعطى: تقوم نظرية بين السياسية على إحساس مرهف بالكرامة الإنسانية التي

- ومن إلى "يلنت" من أحرار الغرب ك" برنارد شو" و"إدوارد لامبير" ؛ فضلا عن الجهاديين الوطنيين المعروفين : البارودي - عرابي- مصطفى كامل- فضلا عن الكارزمية الناصرية نفسها .  
"روجه جارودي" و "جورج جالوى" وبعض يهود يتظاهرون ويلقون الأذى والعنت لمحض تصريح بما يجب من رأى فى الإفراط الأمريكى الإسرائيلى والتفريط العربى الشائن هنا أو هناك . من هؤلاء الإنسانيين العظام لأيامنا ثمة أيضا : "جورج فكنشتاين" و"ستيفان سيزار" صاحب كتاب **Christian Zionists** وغيره من الكتب المصرح بالحق الفلسطينى والتعدى الإسرائيلى ، إلى حد الوصم بالنازية .  
ومنهم نساءٌ منهن : المتعاطفة الأمريكية الشابة 'ريتشيل كورى' شهيدة جرافة الإزالة الإسرائيلىة فى غزة " والأمرىكية الحقويية المؤازرة لغزة وللثورة ضد الانقلاب فى مصر ، الموضوعة على القائمة والمرحلة بالعسف والأذى دون إسعاف لها - منهن كذلك : مقاربة الشيخوخة الحقويية الشهيرة "ليديا بنجامين" و" بيكى ويلاند" رفيقتا أكثر من ٤٠ امرأة - وقيل ٨٠ - كبراهن فى سن ٨٤ - كما قالت "أوليفيا سيمور"  
- منهن أجنبيات وعربيات (تردد اسم جميلة بوحيرد بينهن) .. وقد اعترضتهن السلطات المصرية فى اليوم العالمى للمرأة ٣-٤-٢٠١٤م عن طريقهن لمؤازرة المرأة الفلسطينىة المحاصرة مع شعبها كله فى غزة ؛ بل وحالت بينهن وبين العودة لفنذهن فى القاهرة ، وأمكن تححيل بعضهن من مطار القاهرة بمساعى السفير الفرنسى ؛ وظل بعضهن معتمسات (الإعلام المصرى ومنه / جريدة الوفد ٧-٣-٢٠١٤م وغيرها) .  
اعتقل منهن وحقق بمعسكر اعتقال لـ ٨ ساعات حائزة نوبل "ماجوايا" وزميلة لها . منعت "ماجوايا" من مصر كما منعت قبل من إسرائيل . منعا كمنع حائزة نوبل توكل كرمان من دخول مصر لمؤازرة رابعة . وكهئ مع فوارق غادر حائز نوبل زويل غير مستريح وغادر حائز نوبل محمد البرادعى ، متخليًا عن منصب نائب رئيس ، مضادا لفأشية العسكر المنقلبين ( من فينا لها وعن بعض صحفها مراسلة الجزيرة فاطمة حنفى عبر سكايب - سن ٢٠١٢ و٢٠١٤ د. مساء وصباح ٨ و ٩ / ٣/ ٢٠١٤م) .

- كان شغل "بين" شاغلا بالكوبرى الحديدى الذى اخترعه فى انجلترا وبالثورة الفرنسية . ذهب إلى باريس سنة ١٧٩٠م وقابل "لا فاييت" **La Fayette** أحد قادة ثورتها الذى أراد أن يحمل بين مفتاح الباستيل ليسلمه فى واشنطن قبل أن يعهد بالمهمة إلى صديقه الآخر "فرونون" **Vernon** .  
- وإذ عاد إلى لندن انتزع نفسه من عمله المادى وعكف على نقد بحث "إدموند بيرك" : تأملات فى الثورة الفرنسية سنة ١٧٩٠م . وقد أورد بين رده فى كتابه : حقوق الإنسان سنة ١٧٩١م . وبالبحث عرف بيرك بأنه ممثل النزعة التى تسمى محافظة فى انجلترا؛ كما عرف بين بكتابه بأنه ممثل الروح التحررية .  
- وحينما نظم الراديكاليون حركة تنادى بقلب نظام الحكم الموناركى وتأسيس الجمهورىة الديموقراطية فى انجلترا حوكم بين غيابيا ولكنه احتل فى باريس مقعدا اختير له فى عضوية المؤتمر الوطنى فى باريس كما عهد إليه بالمساهمة فى تأسيس الجمهورىة والمشاركة فى أعمال المؤتمر الوطنى و "كوميون" باريس . وهو الاختيار ذو الدلالة الإنسانية البالغة لكونه تم بإجماع أربع هيئات فرنسية مختلفة .  
- كان تأييد بين للحرية والثورة نابعا من الإيمان وشعور إنسانى صحيح . لذلك لم يتردد فى معارضة "روبسبير" ومخالفة الثوار فى الحكم على "لويس" السادس عشر . فقد رأى الاكتفاء بنفيه . وبسبب رأيه ذاك حوكم بواسطة الغلاة وسجن سنة ١٧٩٣م .  
- ويبدو أن النزعة الإنسانية البسيطة لم تعدم أنصارا لها بين أصحاب النزعة القومية الفرنسية الغالية ؛ فلم ينفذ فيه حكم الإعدام وكان الفضل لروصيده من النضال فى أمريكا ؛ فقد استصدر وزير أمريكا المقيم فى باريس وهو "جيمس منرو" **James Monroe** أمرا بالعفو عن بين فأخرج من السجن سنة ١٧٩٤م مريضا . ليقيم فى باريس حتى عام ١٨٠٢م ويؤلف رسالتيه عن "عصر العقل" و "عدالة توزيع الأراضى بالمساواة" (على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى، ص ٣٤١) .  
- ويبدو أن أمريكا كانت ما لبثت أن انغمست فى الرأسمالية ولم تعد تطرب للمثاليات الإنسانية (البينية) . فحين هاجر بين إليها سنة ١٨٠٢م لم يلق ترحيبا فأحس بالغربة وساءت صحته وتوفى الرجل ؛ فكان شهيد الحرية فى مواطنها الثلاثة المتاحة لقلمه واتصالاته فى ذلك الوقت . وهو الوقت الذى انتهزته بريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا وبزتهم فيه بريطانيا لغصب سلام الشرق وابتزازه كم يهدى البحث .

يناقضها التسلط ضرورة؛ ولذلك رفض بين وراثه الحكم الموناركى :  
سواء نشأ عن طريق القرعة أو الانتخاب أو التسلط، وفرق بين المجتمع  
والحكومة فى أصل النشأة.

فالمجتمع ينشأ من المطالب المتبادلة ويحقق سعادتة إيجابيا بواسطة توحيد  
مجهوداتنا . أما الحكومة فوسيلتها فى تحقيق السعادة وسيلة سلبية تقوم  
على الردع<sup>١</sup>. ومبدأ الوراثة متى جاء(بالمترفين) أو المشردين يخلق  
جوا كئيبا خانقا.

أما الحكومة المقبولة فى ذوق بين "فهى تلك التى تنظم من تمام الموافقة  
المتبادلة بين أناس يتمتعون بحالة الحرية الطبيعية State of Natural  
Liberty على تكوين مجتمع يتعاون فيه الجميع على تحقيق المهام  
العامة.

وقد حكم بين شعوره المرهف فى ملاحظة سير الحياة فى مراحلها  
البسيطة فرأى "أنه لم تكن ثمة حاجة لقيام الحكومة فى البداية....لقله  
الشئون العامة من جهة ولأن كل فرد يكون مضطرا لأن يفعل ما يجب  
عليه فعله خوفا من امتهان الجميع له من جهة أخرى".

ولا ينكر بين أن تسيير المجتمع بالضمير وحده يصبح متعذرا مع تعقيد  
الشئون العامة وتكاثر الأفراد . ومع ذلك فإن العلاج لا يكون بالتسلط  
وإنما باتفاق الجميع أو تعاقدهم على اختيار هيئة حاكمة تقود المجتمع  
نحو تحقيق أهدافه وأمانيه وتعمل على تحقيق الحرية وبث الأمن  
والطمأنينة بين المواطنين.

<sup>١</sup> على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى.....، ص ٣٤٢

ومن الطبيعى أن يودى المنحى الذوقى الشعورى الذى نجاه بين به إلى إطراء الفطرة والطبيعة وإرادة العقل . وفى ضوءها رأى أن أداء الحكومة لمهامها يكون ميسورا ؛ بل إن الفطرة هى التى ترشدنا بنورها فى الأحوال الغامضة والمختلفة . وذلك هو جوهر دعوته فى كتابه "الذوق العام" أ الـ Common Sense .

نفر بين مما سماه "سحف وهراء" الملكية العاطلة (سحف الملكية العاطلة وهراءها) فى انجلترا وضم بأن ينفق عليها من أموال الناس ورأى "أن أى مواطن شريف من مواطنى الدولة هو أحسن فى نظر الله ونظر المجتمع من كل العاطلين المتوجين" <sup>١</sup> .

وقد اختار بين عبارة "حقوق الإنسان" عنوانا لكتابه الذى رد فيه على تأملات "بيرك" الملكى الجامد فى انجلترا التى أنكر فيها أن تكون ثمة حقوق للإنسان وأعلن أن تنازل الشعب لملك أو سلطان سحف أو هراء \_ إن طبقه جيل فلا يملك تعديته على جيل آخر لأن الأجيال والأفراد لا يملك بعضها بعضا كما أن الميت لا يملك الحى <sup>٢</sup> . وهى بديهية وافق بين عليها روسو ولكنها غابت عن بيرك.

ويتضح ذوق بين الخاص للحرية بمباينته فلاسفة العقد الاجتماعى ؛ فى أساس فكرة التعاقد : رآها هى تقوم بين طرفين متساويين فى الحقوق والواجبات وأنها لا تسلب بالعقد لأن العقد نفسه يجب أن يجدد من جيل إلى جيل ؛ وبذلك أعطى بين "لديموقراطية مغزى أعمق وحيوية متدفقة كما منح الحياة المتجددة لنظرية الحقوق الطبيعية" "وأبرز أهمية التمسك بالإرادة الشعبية المعاصرة وبأن الدولة قامت من أجل الإنسان وليس العكس" <sup>٣</sup> .

لم يكن بين أكاديميا متقعرا فى علوم السياسة ولكنه كان مفكرا واسع

<sup>١</sup> على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى.....، ص ٣٤٤

<sup>٢</sup> على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى.....ص ٣٤٥

<sup>٣</sup> على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى.....ص ٣٥٠

الشهرة عميق النفوذ بل فاق نفوذه النظرى نفوذ أعظم الأساتذة ثقافة وعلماً<sup>١</sup> . وما الذى جاء به من فتوح فى مجال الفكر والقيمة إلا ما طال دوران العلماء حوله وأدركه هذا المنقطع عن المدرسة.

والذى حدا بنا إلى عد بين فى الاتجاه الإنسانى فى الفكر والحكم هو تصديق الشواهد لحدوسه الفطرية من قبله ومن بعده.

وقد رأينا ثبات الفكر الرواقى والحنيفى والدينى على الاعتبار بالفطرة وموازن العقل بصفة عامة

وكذلك الشأن فى قول بين بتفضيل العامل على المتوج القاعد .

وهى قيمة شق بها الإسلام ظلام العصور الوسطى بل بلغ بها القمة فى تفضيل العامل الصالح على الفارغ للعبادة.

ونفرة بين من التوريث فى الحكم تكاد تشى بمستعار عرابى بعد بين من تراث سابق عليهما معا ينسب إلى عمر بن الخطاب ؛ وثلاثتهم تكلم وهو شاخص ببصره إلى أول إنسان.

فلا غرو أن اقتبس الناس عبارات بين ورددوها وكأنها فقرات من الإنجيل ونظمتها الإنسانية فى إعلانها العالمى لحقوق الإنسان بعد الحرب العالمية الثانية<sup>٢</sup> .

فالإنسانية – التى طال هامشنا فيها بدورها هنا - عاطفة غالبية على وجدان بين؛ لولا أنه يبدو أن المادية ستكرس للنفعية ولإدموند بيرك ، ريثما يلتقط المذهب الإنسانى الشعورى الأخلاقى أنفاسه ويشرب لأنسنة الحياة بلا حيلة غير الفن عند الرومانسيين وبفلسفة متأرجحة عند جدوين

<sup>١</sup> على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى.....، ص ٣٤٩

<sup>٢</sup> الإعلان وسائر الوثائق المتعلقة بحقوق الإنسان : حقيبة تنزيلات من موقع kenanaonline.com ، على موقعنا منه /kenanaonline.com/users/hakim/

## و حظينا بها مكتملة - إن لم نقل تامة- عند بوزانكت كما سيتبع ١ .

### ١ الإنسانية - الإنسية - إنسانى:

الأصل اللغوى ( أن س) فى المعجم الكبير يدل على ١- الظهور . ٢- السكون إلى الشيء والاطمئنان إليه : و الإنس (والأنس) : الطمانينة . وتأنس فلان : اطمأن وزالت عنه وحشته والانس : المؤمنس أو ذو الأنس والأنسة فتاة أنسة : طيبة النفس .

- وفى المعجم الكبير أيضا : الإنسان : حيوان يسير على رجلين منتصب القامة عاقل مفكر بوزن (فعلان) من الأنس أو هو إنسيان من النسيان ؛ وعلى النقص صار إنسان فوزن على (إفعان) ولذلك يرد إلى أصله فى التصغير فيقال أنيسيان ..

**الإنسان Man عند المناطقة والماديين والفلاسفة :** عند المناطقة هو نوع والحيوان جنس . عرفه الماديون بأنه جسم له أبعاد وصور واحتياجات ، ويمتاز عن سائر الحيوانات بشكل جسده وأن المشار إليه فى أنا أكلت وشربت ومرضت وخرجت ودخلت وأمثاله ليس إلا هذا الجسم أو الهيكل المخصوص .

وقال جمهور الفلاسفة إن الإنسان حيوان ناطق ، ولكنه ليس إنسانا بأنه حيوان أو ناطق أو مائت أو بأى شيء آخر ؛ بل بأنه - مع حيوانيته - ناطق (ابن سينا - نجاته) . ويحتاج أن يكون جوهرًا ويكون له امتداد فى أبعاض... وأن يكون - مع ذلك- ذا نفس .. يحتذى بها ويحس ويتحرك بالإرادة ..

**عند علماء الشريعة :** هو جنس نوعه رجل وامرأة . وقال الإلهيون إن الإنسان لا يمكن أن يكون بدنا ؛ بل هو هذا المعنى القائم بالبدن ولا مدخل للبدن فى مسماه .. إنه الإنسانية المقومة لهذا الهيكل (أبو البقاء) .

**والإنسان الكامل الحقيقى عند الصوفية فى المعجم الفلسى هو الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية والجزئية .. والإنسان عالم صغير والعالم عالم كبير .** : متفقا مع المعجم الكبير فى أنه يراد به أن من الناس من تكمل إنسانيته فيسمو فى رأيهم إلى الاتحاد بالذات العلية ويصبح خليفة الله فى أرضه وله أصول فيما قيل قديما وذكر توا ، شبيها من جهة ومختلفا من جهة عن المعروف من مذهبية وحدة الوجود السقراطية الـ **Panti Socratism** .

**الإنسية Humanism أو الإنسانية :** أيديولوجية راجت فى إيطاليا فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر وامتدت منها إلى بقية بلدان أوروبا الغربية ، وتمثلت فى العودة إلى الثقافة القديمة باعتبارها ثقافة مركزها الإنسان وكرامته وحرية وقيمه . هى أيضا كل دعوة لها نفس الموضوع . والمفكر الإنسى أو الإنسانى هو الذواق للتراث والذى يستلهمه .

**والإنسية عند كونت** ديانة تقديس الإنسان وتحل الإنسانية محل الله فى العبادة ؛ ولعلها بهذه المناقضة الحادة بما هو سام أو ميتافيزيقى ؛ وبمضاداتها للتيار الإنسانى المثالى أيضا تعنى مجرد "البشرية" العلمانية التى قامت عليها الدول القومية فى أوروبا مجنبه الكنيسة ؛ بل مشيعة إطلاقه على فكر عصر النهضة كله : السياسى والعلمى والتجارى .

- **والعلمنة secularization :** عملية تطوير المجتمع سياسيا واقتصاديا بالعمل من أجل الإنسان وبجهده وقد لا تعنى اعتناق نظرية علمانية secularism بذاتها تستبعد الدين / عن الحوار بين الإديان / د. وليم سليمان ص ١٨٨ ، عن **Towards comparative study of secularization in ; Chrriitian and Islamic** , vol. II mo . Ali descuky ١٩٧١, May ٢ experience , Dans, Islam and the modern age

فيما سبق (أول الفصل الثانى بهذا الباب) .  
- بيد أن الألوهية قيمة حتى فى الفكر الأنطولوجى Ontologism المقدم للوجود الطبيعى على الفكر . بدأ كمذهب إيطالى ١٨٥١م . تبحث الأنطولوجية فى الوجود فى ذاته (لالاند) ، ، يرى هذا ويقابله المذهب النفسى الذى يقرر أن الوجود تابع للفكر . ويرى المذهب الأنطولوجى أيضا أن الموجود المطلق أى الله هو المعيار الذى يستند إليه العقل فى الحكم على الموجود واللوجود ؛ أو هو من يرى أن معرفتنا بالله حسية مباشرة ، ومن قبيل ذلك نظرية رؤية الله عند مالبرانش (فوكيه) .

**نظرية الهيومانية (الإنسانية بالاسم فقط فى تقديرنا) فى بنائها المغرى عند "ارنجن بابيت" وزملانه فى عرضنا عن المرحوم لويس عوض على الأقل؟**

**الإنسانية عند بوزنكت :** قمة جهاد إنسانى مفكر فى تيار إنسانى للحضارة تتبعناه دائرا على فكرتى الفطرة والاستنارة فى التاريخين التربوى والسياسى ، مرورا بالحركات التالية :

أما الآن فوقفتان على "النفعية" فـ "جدوين":

### النفعية والنفعيون:

كما مر كان "إدموند بيرك" الملكى الجامد (١٦٢٩- ١٧٩٦م) - تقاطعا مع الفلثة الإنسانية عند بين (١٧٣٧- ١٨٠٩م) -: تمهيدا للنفعية . وقد كان "جرمى بنتام" Jermey Bentham قد فرغ من التعبير عنها فى شىء من الغموض adumbrated it فى "وريقة فى الحكومة" Fragment on Government ١٧٧٦م ؛ فجاء جدوين وقال إنه لا يلزم إلا أن يخلق المناخ الصحيح للتعليم السديد وسوف يصبح ممكنا تحقيق تطور غير محدود يسير فى الاتجاه الصحيح. سيلي أن جدوين تحير بين الجمود والمذهبية والتحرر المفرط وبين الرومنسية واليوتوبية .

أما النفعية فى أفقها الواضح فمذهب يُنسبُ جانب مهم منه إلي "بنتام" و "چيمس مل" و "چون استيوارت مل" . هذا الجانب هو قولهم "بأخلاق المنفعة Morales de L` intret .

- 
- المفهوم السلبي المحدود للفطرة عند ماكيا فيللى وهوبز (١٤٦٩-١٥٢٧) - (١٥١٨-١٦٧٩) ؛ ومثلها الملايوتوبيا diutupea دولة الدكتاتورية المطلقة (الأورويلية) نسبة إلى صاحب رواية ١٩٨٤
  - المفهوم الإسلامى والحنيفى للفطرة السليمة .
  - المفهوم الرواقى فى حوض المتوسط (اليوتوبيا) / شيشيرون وسينكا مثلا (١٠٦- ٤٣م) - ٤ - ٦٥ م
  - جان چاك روسو (١٧١٢- ١٧٧٨) والتربية الطبيعية
  - الرومانسيون ووحدة الوجود
  - حكمة العفاف عند جدوين (١٧٥٦- ١٨٣٦) من النفعيين .
  - احرية الطبيعية عند بين (١٧٣٧- ١٨٥٩) واستيحاء الإعلان العالمى لحقوق الإنسان من بعض فكره . وفى هامش توماس بين الإنسانيون العظام المائلون فى الحق الفلسطينى وغيره .
  - مذهب الحاسة الخلقية (من تجريبية ديفيد هيوم ١٧١١- ١٧٧٢) إلى أعلام المذهب هتشيون وسانتسبرى)
  - الحرية المتحضرة أو عقل المجموع (برنارد بوزامكيت (١٨٤٨- ١٩٢٣) ؛ "يولد الإنسان حرا حرية حقيقية- فكرة التسامح- أهداف تنظيم الحياة بحيث تبوح بما فى سرها من الخير الروحى (الذى) هو وحده الحقيقى والدائم
  - وفى الأدب ربما أطلق على شاعر قين ثائر عزيز النفس كعنتره العيسى أو ترس شيفشسكو الأكرانى أنه "شاعر الإنسانية" . والأخير - على سبيل المثال - فضلا عن جنديته وشاعريته الفياضة كان فنانا عظيما وديموقراطيا ثوريا تنتشع أعماله - مثل عنتره حقا - بالمثاليات الإنسانية ، وكلاهما تغلب على جميع العقبات وأفساها العبودية فى مجتمعه ، غير متنكر لقومه ووطنه .

والنفعيون **The Utilitarians** يقولون "إن المنفعة هى تحقيق السعادة فى ظروف أكثر تقدما ولذلك يؤكد علم الأخلاق النفعى على الرفاهية والرضى مع ضرورة العمل الدائب نحو حياة أفضل. وتلك هى المثالية النفعية التى تحقق ما هو مرغوب فيه . فالمثل التى يعتنقها "مل" هى مثل علمية وواقعية تجعله لا يحوم فى عوالم غير قائمة.. بل يقف على أرضية ثابتة يكتسب منها الخبرة (ب) المحاولة والخطأ فيتعلم منها وتتكون شخصيته فيعرف قيمة العمل والنجاح حيث إن التجربة عند النفعى هى محك الصواب والخطأ ومصدر الاستحسان والاستهجان . والجزاء الخلقى.. هو ما ينجم عن الفعل من فشل أو ألم وما يعقبه من إحساسات التعاسة والندم.. و.. واتفقوا جميعا على أن اللذة هى المعيار النهائى الذى نقيس به القيمة الأخلاقية".

ولهم بعض مبادئ حسنة ولا جديد فيها كقولهم:

"عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به.."

و "أحب جارك كما تحب نفسك"

ومن تعاليمهم فى التربية: "تعليم النافع المفيد حتى تكون للعملية التربوية جدواها".<sup>١</sup>

### وليام جودوين (١٧٥٦ - ١٨٣٦م) (نفعى بين العقل وبين الشعور):

فى انجلترا نفسها أضيف إلى ما ذكرنا من عوامل التطرف والجمود فيها وفى فرنسا عامل آخر أتى الدعوة الإصلاحية الإنسانية من داخلها حيث بدت عند "وليام جودوين William Godwin" مختلطة فوضوية . ربما بسبب بداياته الانتقادية المتبرمة قبل أن يستقر - أو بالأحرى يتأرجح- فى موقعه بين مذهبى "الحاسة الخلقية" والمدرسة "النفعية" الناضجة.

فخلافًا لما درج عليه جودوين "من نقد للعيوب فى مجتمعه نفسه عاد يدعو إلى التفاؤل المبني على الثقة فى العقل. كتب فى سنة ١٧٧١م رسالته فى العدالة السياسية **Justice Political** وطبعها سنة ١٧٧٣م و "هى فى نقد المجتمع القائم والتنبؤ بالمستقبل"؛ ولكنه سرعان ما انتقل

<sup>١</sup> قبارى محمد اسماعيل/ قضايا علم الأخلاق، هـ ص ٢٩، ٣٠، عن John Stewart Mill  
>Utilitarianism, Colins 1964

بعيدا عن نفسه فيها.

وبدلا من نظريته "التحليلية" الباردة هذه فى العدالة السياسية جاءت كتبه المتأخرة فى المقابل طبيعية عاطفية . وكذلك الحال فى النشاط السياسى الاجتماعى المنظم .

فرغم اتصال الراديكالية البريطانية بالثورة الفرنسية فإن الجمعيات البريطانية(السياسية) لم تكن تنتظم على أشباه فرنسية؛ وما لبثت جمعية أصدقاء الشعب The Friends of The People التى أنشئت سنة ١٧٩١م أن اعتدلت فى برنامجها الإصلاحي ؛ كما أن جمعية لندن الوفاقية The London Corresponding Society المؤسسة سنة ١٧٧٢م والتى تفرعت فى جميع أنحاء البلاد : قد لحقت بها ؛ حيث أدت حوادث الثورة الفرنسية العنيفة سنة ١٧٩٢م إلى تعزيز الرجعية فى بريطانيا<sup>٢</sup> .

ولعل هذا الجمود نفسه كان حافزا لثورية البعض ممن نظمناهم مع الرومنسيين كـ "توماس بين" ومن ثم لنظريات العقد الاجتماعى أو غيرها؛ وربما لجودوين نفسه فيما تلا من تحولاته هو نفسه.

وقد شارك جودوين غيره من الراديكاليين فى الثقة فى العقل . تجاهل العيوب التى سبق أن نقدها فى المجتمع ذاته وقال بأن الحق يجب أن ينتشر لأن الجدليات التى تؤيده هى بطبيعة الحال أقوى من تلك التى تؤيد الباطل. فالحق قاطع بالحق الكامن فى ذاته . أما الرذيلة فإنها خطأ فى الحكم.

ولقد اصطنع جودوين تفسيراً شعورياً لنظرية "لوك" (١٧٠٤م) فى المعرفة وأمن مع أصحاب مذهب الحاسة الخلفية انه يمكن إصلاح الأحكام التى أفسدتها العاطفة والجهل بواسطة التربية والتعليم لأن التعليم يستطيع أن يجعل الفرد يطوع مصالحه الخاصة للخير العام. هذا على

<sup>١</sup> Literary History of England, p. 1114

<sup>٢</sup> Literary History of England, p. 1114

الرغم من أن العقل الإنسانى – شأنه شأن العالم الفيزيقي- خاضع للضرورة (أو التتابع الحتمى بين السبب والأثر) وعلى الرغم من أن الدافع الأساسى للروحانية هو أيضا الرغبة فى تحقيق اللذة وتجنب الألم.

▲ ذلك الاهتمام المصلحى الذاتى المستنير فى أفقه الروحى يوافق القول بإرادة الأغلبية فى الأفق السياسى كما يشير إلى ما سار به النفعيون قداما من الآراء.

وفى رأى جدوين "فإن العقل وليس القانون هو الذى يصون التوازن الاجتماعى فى مجتمع أحسن تنظيمه وإن الرجال سوف يكونون فى غير حاجة إلى الضبط السياسى وأن الحكومة سوف تعول إلى حد أدنى أو تختفى جملة"<sup>٢</sup>

وأما رأى جدوين فى الملكية والنساء فهو أن نظام الملكية الخاصة عنده لن يدمر بيد أن الناس فى رأيه سيصبحون من العقل لدرجة أنهم لن يدعوا لأنفسهم شيئا غير أنصبتهم القسط. أما الزواج وهو بصورته فى نظر جدوين شكل من أشكال الطغيان فإنه سوف يختفى . أما قانون العقوبات وغيره من التواضعات الاجتماعية فإنها "سوف تجدد" .

▲ لهذا رأى المؤرخون الانجليز أنه فى آراء جدوين هذه يصعب التفرقة

<sup>١</sup> صدر "مذهب الحاسة الخلقية .. عن تجريبية ديفيد هيوم" ومن أعلامه: هاتشيسون و سانتسبرى ؛ فجمعوا بين الضمير والشعور او الوجدان وأكدوا على أن حب الخير benevolence هو المبدأ الخلقى الأسمى فى الإنسان ووظيفة الحاسة الخلقية عندهم هى إدراك خيرية الأفعال وشريتها . وهى قوة باطنية تشبه الإحساس بالجمال وأحكامها لا تحتمل التحليل أو البرهان ؛ بمعنى أن الحاسة الخلقية إنما تقوم على حدس حسى أو تجريبى . وحاول أعلام مدرسة الحاسة الخلقية أن يوفقوا بذلك بين النفعية والأنانية من جهة وبين الأخلاق الغيرية من جهة أخرى بإزالة التعارض بين ميول الإنسان النفعية وحبه الفطرى للعيش مع الآخرين ورعايتهم واحترام مصالحهم.

وأكدوا على ان الواجب الاجتماعى لا يتعارض مع حب الذات وحرص الإنسان على مصالحه حيث إن الأنانية والعزلة شقاء وبلاء . أما الخير فهو العمل من أجل التضامن لصالح المجموع.

قبارى محمد اسماعيل/ قضايا علم الأخلاق، هـ ص ٣٠ ؛ عن : Broad, C. D. \ Five Types

Ethical Theory, Kogan Paul, 1944. p. 44, 85

<sup>٢</sup> Literary History of England, p. 1113

بين نظريته في الحكومة وبين الفوضى المحضة . وكذلك وصفوا نظراته هذه بأنها نظرة يوتوبية utopian ولكنهم فرقوا بينها وبين دعوة "العودة إلى الطبيعة" التي فهمها المفسرون الإنجليز عن تعاليم روسو لأن ما أعلنه جودوين إنما هو "حكمة العفاف" وليس "الجهل البريء".

### الرومنسيون(منتصف ق ١٩):

ربما جاز ولو مجازا عد الرومنسية وما إليها في القرون الحديثة بمثابة أو من قبيل اليوتوبيات الروقية اليونانية القديمة في حوض المتوسط؛ إذ تعتبر الآداب الرومنسية بما اتسمت به من روح إعلائية أو يوتوبية إنسانية عامة وكذا المناشط العلمية البحتة الوجه المقابل لدعوى الغلواء القومية والنزوع إلى التسيد والاستئثار .

قدرت الفترة الرومنتيكية بـ ٤٣ سنة . ربما بدءا من ظهور أغاني "بليك" William Blake البريئة إلى موت السير "والتر سكوت" Walter Scott . "وقد تسمى بفترة ما قبل الفيكتورية" لموقعها التاريخي ولمرورها بمرحلة الثورة الاقتصادية والحروب النابوليونية أو فترة التسيد الاستعماري dominance في أواسط القرن التاسع عشر . لكن الرومنسيين الذين برعوا في الإنشاد والتقنين للمجردات الجمالية والإنسانية لم يسعفوا المجتمع بنظام أو مؤلف يفى بحق جمهوريتهم اليوتوبية في البقاء الواجب لها.

- لذلك فإنه عندما اخترع كل من "سوئي" Southey و "كولاردج" مجتمعهما . مجتمع "وحدة الوجود السقراطي Panti Socratic وهو المجتمع اليوتوبى الذى ترجع فيه المعرفة الإنسانية إلى التركيب السيكلوجى للعقول (أو القوانين العقلية الأساسية) التى لها ما يوازئها فى حركة الكون<sup>١</sup> ؛ كما فيما مر من درس الرواقية . عندما اخترعا عالمهما اليوتوبى متأثرين بالعدالة السياسية فإنهما قد كانا فى ريب من إمكانهما إعادة بناء عقليهما الذين كانا قد غلغا بالفعل بالتعليم الخاطئ ؛ غير أنهما خططا للأجيال التالية مجالا تسد فيه ذرائع(فرص) الشر ولا يسمح فيه إلا بالمشاعر الصحيحة أن تؤثر فى العقل.

ورغم أن هذين الشاعرين وكذلك "وردزورث" Wordsworth ذهبوا

<sup>١</sup> حلمى على مرزوق دراسات فى الأدب والنقد.....ص ١٢٤

بعيدا عن أفكار جدوين في العدالة السياسية (والتي تجاوزها جدوين نفسه متحيرا كما تبيننا) كما لم يخضعا مشاعرهما على الأقل لما شهده الحراك الإنساني من جمود (رجعية) في بريطانيا خاصة بينما الثورة تعصف في فرنسا وأمريكا وغيرهما.

### النظرية السياسية الكاملة عند بوزانكت ( ١٩٢٣م - )

\*سبقنتُ - وبسلطة دراسات راسية من مثل العقاد وخبرتي التراثية للعرب الجاهليين وغير المعدوم من صكوك السلطة الدينية الشعبية الملزمة للحكام في الأعصار الإسلامية على تفاوتها - إلى تقييد رأي "بوزانكت" ورأي "أوليري" وغيرهما في التشريعات والسياسة اليونانية بتحديد أمدهما أو قيمتهما بحدود الشروط الطبقيّة والمادية والعرقية في اسبرطة وأثينا حتى في فكر أرسطو نفسه.

\*وأجد في هذا السياق نفسه من الدرس الرأسي للدكتور على عبد المعطى ما يضطرني إلى عدم الإغضاء عن عيب عهدة بوزانكت أمانة حمل نظريته القيمة حقا للدولة القومية التي عرفنا أنها ذاتها الاستعمارية؛ حيث - لولا تصحيحه الذي يرد لمفهوم الدولة القومية - كاد يعرّض هذه النظرية برمتها للحاق بمزعم نظرية الهيومانية (الإنسانية بالاسم فقط) في بنائها المغرى عند "ارفنج بابيت" وزملائه<sup>١</sup> في عرضنا عن المرحوم لويس عوض<sup>٢</sup>.

\*أما اعتباري المتواضع لـ"بوزانكت" في الكتاب الإنسانيين ففضله الذي شهدت به الدراسة الرأسية للدكتور على عبد المعطى المتخذة تكنة لمداخلتي هنا: وهو فضل مراجعة الآراء الفلسفية السياسية والاجتماعية المختلفة على مر العصور؛ و لتحريره النظرة إلى الإنسان في مجتمعه

<sup>١</sup> "بول أمر مور" و "نورمان فورستر" و "استيوارت شيرمان" و "هيدون كلارك" الذين ناصبوا فيها العداة للعاطفة وللديموقراطية وللعلم مقترحين: ما لا غنى عنه لعين هذه الأشياء نفسها مما سموه: "الأخذ بمبدأ القبول" - "العمل بقانون الحساب" - لتحقيق "العيش المتوازن" و "مراعاة الذوق العام" لتقوية روح "الجننل مان" و "الدين" (التي كان يدعو إليها بيرك) و "الابتكار الفردي" و "صفة البنيان التي تأتي من إخضاع الفرد .. لكل أعم وأشمل"

<sup>٢</sup> عبد الحكيم العبد/ تطور النقد والتفكير الأدبي في مصر في الربع الثاني من القرن العشرين، دكتوراه بأداب الإسكندرية ١٩٨٥م، ص ٢٨٤

من النزعة الفردية النفعية بالمعنى المشكو منه؛ دون أن يغلو في الوقت نفسه غلو الاتجاهات الجمعية الهيستيرية المنعكسة عنها.

- قرر بوزانكت أن وقت اعتبار انبثاق قيمة الدولة وانبثاقها من الأفراد قد انقضى وولى<sup>١</sup>؛ بل إن التعبيرات مثل "في ذاته" و "من أجل ذاته" لا تكون ذات معنى حقيقي إلا في موضعها وعلاقتها بالكل<sup>٢</sup>. وكذلك عقول الأفراد حيث تتفاعل وتترابط معا فينتج عن هذا الترابط بين أنماط العقول خير المجتمع. وكذا الحال في كل جماعة من الأفراد سواء أكانوا سياسيين أم عسكريين أو عمالا؛ فالمجتمع يتكون أساسا من عمل هذه الأنماط من العقول مجتمعة ومترابطة<sup>٣</sup>.

- بل يصبح العقل الفردي نفسه مرآة للمجتمع كله أو انطبعا به من زاوية خاصة فكأنه أقرب إلى جوهر فكرة "لينز" التي تقرر أن كل "موناد" مرآة تعكس العالم من زاويتها<sup>٤</sup>.

\* قد تعنى (مونادية) المعرفة هنا ضمنا معنى نسبية المعرفة كما صورها أبو حيان التوحيدى فيلاً يتحسس مواضع مختلفة منه عدد من العُميان لا يعرفون مقدما أنه فيل.

\* وقد لا تخفى في ذات الرأي فكرة تشابه المبدعين بوحدة "الجنس" و "البيئة" و "المجتمع" عند "تين"<sup>٥</sup> وفي بعض قول نورده لابن رشد في "وحدة العقول".

\* وكل من بوزانكت وليبنز يجريان على قول "عمانويل كانط" في قصر البحث المجدى على الظاهرة Phenomena دون الـ nomina أو الرأي الحنيفى أو الإسلامى المعروف "العوارض" دون "الكنه"

<sup>١</sup> على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسي الغربي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١م، ص ١٤

<sup>٢</sup> على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسي الغربي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١م، ص ٤١٥

<sup>٣</sup> على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسي الغربي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١م، ص ٤١٧

<sup>٤</sup> على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسي الغربي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١م، ص ٤١٨

<sup>٥</sup> Hippolyte Adolf Taine (1828- 1893) عن The Encyclopedia Britannica / د/

عبد الحكيم العبد/ تطور النقد والتفكير الأدبي في مصر في الربع الثاني من القرن العشرين، دكتوراه بأداب الإسكندرية ١٩٨٥م، ص ٧١-٧٣

كما أوردنا صدد محمد عبده بالباب الرابع.

- أما كيف يكون كل عقل مرآة لمجتمعه : فليس الأمر عند "بوزانكت" - كما قرر "لوك" و "هيوم" من أن العقل يولد مع الإنسان كصفحة بيضاء ينقش عليها كل شيء عن طريق الحواس والتجربة
- وليس كما يقرر "ديكارت" والعقليون : أن الإنسان يولد وعقله مزود فطريا بالمعارف
- بل ليس الأمر جماعا من هذا وذاك بمعنى أن المعارف فطرة في العقل بالقوة تثيرها المثبرات التجريبية فتخرجها إلى الفعل
- ولكن (لأن العقل الفردي بمعنى "في ذاته" لا معنى له من حيث المبدأ إلا في إطار جميع العقول وفقا لفلسفته المثالية) التي تقضى بأن "الحقيقة هي الكل وأن الجزء لا معنى له إلا في هذا الإطار الكلي العام" <sup>١</sup> .

- من ثم رفض بوزانكت ما سرى في الفكر الإنساني من بعد اليونان إلى عصر الدولة القومية الحديثة من انصباب نظرة الناس إلى الحياة والسلوك في قالب نظرية أخلاقية مرتبطة بالدين وباللاهوت وبالتشريع جعلت الفرد داخل هذه الدائرة الأخلاقية والدينية يطلب الحياة التي تحقق له الرضا بغض النظر عن المجتمع الإنساني <sup>٢</sup> .

- وفي محاولته لاقتلاع جذور النظرة الفردية من أرض الفكر عرض بوزانكت ونقد الأفكار السياسية لـ "جون استيوارت مل" و "هربرت سبنسر" و "بننام" فوصف نظرياتهم بأنها نظريات "الوهلة الأولى" لأنها في تركيزها على الفردية Individualism تخلفت حتى عن الركب الإغريقي.

- إنها نظريات نظرت إلى الإنسان وهو في حياته العادية يأكل ويسير ويسافر ويتكبد مشاق السفر وليست نظريات تنظر في المنطق الاجتماعي أو التاريخ الروحي أو الخط الروحي الذي يقف وراءه.

<sup>١</sup> على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسي الغربي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١م، ص ٤١٩

<sup>٢</sup> على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسي الغربي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١م، ص ٤١٩

- لذلك أطرى بوزانكت روسو فى عقده الاجتماعى وسائر آرائه لما تخلل فكره من الروح "الكلية".

- فالمجتمع عنده يتكون من الذات العامة التى تتمتع بالإرادة وبالحياة التى تثبتق وتمارس خلال المجتمع من حيث هو كذلك أو خلال الأفراد فى المجتمع من حيث هم كذلك<sup>١</sup>.

- فإنسان عنده يتبع الإرادة العامة لا منفعته الخاصة وبذلك صار الإنسان الذى يكون الدولة هو الإنسان الأخلاقى الذى تتغلغل فيه إرادة العامة وترتفع فرديته الأصلية فترتبط بالكل العضوى إلى أن تبلغ حد الوحدة مع الكل الاجتماعى.

- يولد الإنسان حراً حرية حقيقية كحرية الحيوان ولكنه يرتفع بالقانون الاجتماعى ليصل إلى الحرية المتحضرة التى بها يكتسب إرادته الإنسانية الحققة بمعنى الإرادة العامة General Will لا مجرد إرادة المجموع The Will of All التى هى إرادة إحصائية كأصوات الناخبين.

- كذلك تناول بوزانكت مفهوم "روسو" للحرية بعد تناوله لمفهومه السابق عن الإرادة. ففرق عنده بين مفهوم الحرية الطبيعية؛ والحرية المتحضرة لأن الأخيرة هى الحرية العاقلة.

- من ثم أحل بوزانكت للدولة أن تقوم بمهمة تحرير الذات العاقلة من أغلالها التجريبية بوسائل القسر السياسى؛ أى أن على الدولة سلك هذه الذات بنظام فى الجهاز ليعمل كالجيش الذى يختلف التنظيم فيه عن مجرد الحشد<sup>٢</sup>.

\*والذى أكسب هذه الفلسفة (الروسية/ البوزنكيتية قيمتها الإنسانية فى نظرى هو من عين ما رفع فى نظرى مع على عبد المعطى من فلسفة "بين". أعدده سبب اقترابهما من ذوق الأدب: وجدانا كاملا من عقل

<sup>١</sup> على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١م، ص ٤٢١

<sup>٢</sup> على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١م، ص ص ٤٢٤، ٤٢٥

وذوق وشعور. وفي تعبير الدارس المتخصص (العمدة) هو نزوعها على تحقيق الحياة الأحسن من زاوية (عقلية ومعنوية وشعورية)؛ وأنها تبشر بتحقيق الأحسن عن طريق الشعور: وسيط كل الإشباعات والنمط الوحيد لكل في الخبرة.  
-وعلى هذا النحو تكون الحياة الحقيقية متحققة في الشعور .

-\*لقد اقترب الفكر السياسي الفلسفي المجرد هنا من ذوق الأدب بمعناه الإنساني : "ذلك الذي يستطيع أن يتمثل هذه الحياة وأن يتذوقها وهو في تيار الخبرة الجارف وسط معترك الحياة المترابطة والكلية"<sup>١</sup> .

\* (وقد استعرضت المفاهيم المتعددة لـ "الإنسانية" بما يجلى هذا المفهوم بخصوصه في هامش طال على توماس بين منذ قليل) .

- والقسر الذي أجازه بوزانكت للدولة قسر لا كراهية فيه لأنه قسر يُرَدُّ فيه الإنسان إلى نفسه المنتظمة في الشعور العام . وبهذا المفهوم الإنساني للفسر الاجتماعي فرق بين العقوبة من حيث كونها إصلاحية Punishment as Reformatory تنظر إلى المريض الذي يحتاج إلى علاج؛ والعقوبة من حيث هي جزائية أو معوقة Retributory or Deterrent<sup>٢</sup> .

\*بهذا يقف البشر في أمر العقوبة عند حد الضرورة وعلى قدرها ؛ مما ينظر فيه اسلاميا مثلا تحت مصطلح "تقييد الفتك" وما إليه<sup>٣</sup> .

- وفي ضوء ما أعاد بوزانكت اكتشافه من قيمة الشعور الإنساني في التجربة الإنسانية صحح مفهوم الدولة القومية كما أومأنا ؛ إذ فسرها كما فسر العائلة والملكية الجيدة والإنسانية العامة.

<sup>١</sup> على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسي الغربي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١م، ص ص ٤٢٧

<sup>٢</sup> على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسي الغربي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١م، ص ص ٤٣٠

<sup>٣</sup> أبو العلاء المعري / رسالة الصاهل والشاحج ، تحقيق عائشة عبد الرحمن، ط دار المعارف

بمصر ١٩٧٥م ، ص ٢٦٨، ٣٢١

- وآى القرآن الكريم والمظان العديدة.

- بإدخالنا القبيلة فى العد إلى جانب الدولة القومية و العائلة و الملكية الجيدة (وهى من مستحيلات "بين" كما سبق) و الإنسانية العامة (عد بوزانكت أربعته نظما عقلية أخلاقية).
- أعتبر "الإنسانية العامة" (لو لم تختلط بمساوى عولمتنا اليوم) البعد الخامس أو البنىوى الكامل للبشرية الذى قصرت عنه فلسفات القوة والتميز ؛ ولم نكن نجدها غالبا إلا يوتوبيا أو أحلاما واعية لدى الرواقيين والحنفاء والمسلمين الأوائل .

وجديد على الفكر القومى الأوروبى بلا ريب ما أراده ونص عليه بوزانكت من قوله بارتفاع الإنسانية فوق مستوى الدولة ويجب أن تظهر عليها لكى تسيطر وتجمع الأغراض والإمكانات المتعلقة بالحياة الإنسانية قاطبة وتصورها فى ضوء "قانون يفسر الوقائع الأدنى كمالا وارتباطا بواسطة وقائع أكثر كمالا وارتباطا" <sup>١</sup> .

- وتلك إنسانية أعم وأشمل وأكثر ارتباطا وعقلانية من هذا المجتمع أو ذاك . إنها الإنسانية بالمعنى الأدبى كما بينا . وفى ضوءها أرانا بوزانكت أن الدولة لم تعد نهاية المطاف: سواء بمفهومها الفردى عند هيجل؛ أو بمفهومها الطبقي عند ماركس؛ (وأضيف؛) أو بمفهومها المصلحى عند "بيرك" نظريا و "تشرشل" عمليا.

- بل صار هدف الحركة الدائبة فى الاجتماع الإنسانى إزالة التناقض على نحو آخر لأنها حركة روحية أو ديالكتيك : لا هيجلية ولا ماركسية (ولا بيركية) ؛ لأنها فى انتقالها فى متوالياتها (الخمسة الآن) "تفتح على المجتمع بالفن والدين والفلسفة" . وهى أى الفلسفة "دم المجتمع" كما يسميها بوزانكت. <sup>٢</sup>

\* لقد اتسمت فلسفة بوزانكت بين الفلسفات بسمة التسامح Tolerance

<sup>١</sup> على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١م، ص ٢٩٣

<sup>٢</sup> على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١م، ص ٤٣٤

كما اتسمت بالشعورية ؛ فجاز لنا عدها فلسفة إنسانية (لا بمجرد المعنى العلمانى الذى يقابل الإنسانى بالكنسى أو الدينى) ولكن بالمعنى الشعورى الوجدانى الأيقونى الأبعاد الذى نقصده فى هذا السياق . وكفى بالبورنكيتية برا بالإنسانية أنها تحذرنا من أن تستنفد نفسها فى أهداف أرضية ومادية لأن هذه الأهداف وهمية وخطرة وهى أساس كل النزاع .

- ▲ أما أهداف الاجتماع والإنتاج الواجبة عند عند "بورانكت" فهى: تنظيم الحياة بحيث تبوح بما فى سرها من "الخير الروح" الذى "هو وحده الحقيقى والدائم" <sup>١</sup> .

\*فى ضوء الجارى اليوم: هل نجافى القصد إذا قلنا أن نظام بورنكت الممتاز هذا وطموح الرومانسيين واليوتوبيين عالا عمليا إلى برجماتيات غير محضة لأنها فى صورة العالم اليوم – وإن لم نعدنا ماكيا فيليات طبق الأصل- ما تزال نهز الدول الكبرى على تفاوت فى الكم أو الدرجة ؟

\*بسبب ذلك خبت صورة الوجه الحضارى الباهر للغرب ولمنظمات الأمم المتحدة و العولمة التى يقترحها للعالم نظريا ؛ ولا يظهر منها إلا سلوكيات القرم التجارى والتوسع الهيمنى الذى جدد حروب البداوة وقنص الغابة فى عصور البخار والكهرباء والطيران والحاسوب وغزو الفضاء وزادته الحيل التقنية المتطورة ضراوة وإمعانا..

<sup>١</sup> على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١م، ص ٤٣٨